mroftalp htehaB ni knil muideM

شرح رسالة العبودية)22(| الشيخ يوسف الغفيص

يوسف الغفيص

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اله وصحبه ومن اتبع هداه واقتفى اثره واستن بسنته الى يوم الدين اما بعد ففي هذا اليوم الثامن من شهر ربيع الاول لعام - 00:00:00

تسعة وثلاثين واربعمائة والف عقدوا هذا المجلس في شرح رسالة العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لمعالي شيخنا الشيخ الدكتور يوسف ابن محمد الغفيص عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء سابقا في جامع عثمان بن عفان رضي الله عنه بحي الوادي بالرياض - 00:00:17

قال رحمه الله تعالى ولهذا كانت محبة هذه الامة لله اكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله اكمل من عبودية من قبلهم. واكملها رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله - 00:00:41

نبينا محمد واله واصحابه اجمعين ذكر المصنف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في سياق رسالته بمسألة العبودية وتقريره لمقام التوحيد هذه الجملة بقوله واكمل هذه الامة بقوله ولهذا كانت محبة هذه الامة - 00:00:58

لله اكمل من محبتي من قبلها وعبوديتهم لله اكمل من عبودية من قبلهم وهذا فيه باعتبار الموجب وهي باعتبار الحال. اما باعتبار الموجب فلان ما نزل على هذه الامة من الهدى والنور - 00:01:30

لم يؤتها امة قبلها من الامم ولذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح قوله ما من الانبياء من نبي الا قد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر - 00:01:56

وانما كان الذي اوتيت او وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة فلما كان القرآن المبين الذي نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام هو اتم الكتب - 00:02:16

المنزلة على الرسل ولما كانت الحكمة والسنة والهدي الذي بعث به النبي عليه الصلاة والسلام هو اكمل الهدي الذي بعث به نبي فهذا الموجب من جهة العلم هو الموجب الذي اوجب هذه النتيجة التي ذكرها المصنف رحمه الله من جهة ان عبوديتهم - 00:02:33

اكمل من عبودية من قبلهم من الامم فهذا هو الموجب الاعظم فضلا عما ذكره الله سبحانه وتعالى وتفضل به عليهم من الاوجه الاخرى من التوفيق والتسديد وهي تابعة ومتفرعة عن الوجه الاول - 00:03:00

اداء اعتبار وباعتبار اخر فان قول المصنف رحمه الله ولهذا كانت محبة هذه الامة اكمل من محبة من قبلها هذا ليس باعتبار الاعيان هذا ليس باعتبار الاعيان فانه يوجد في الامم السابقة - 00:03:23

من الصالحين والفضلاء والاولياء من هو خير من كثير من هذه الامة انما العبرة او المقصود في السياق هو بجملة الامة واما باعتبار الاعيان فهذا لا يطرد كما هو ظاهر - 00:03:43

فان هذه الامة كما ان فيها الصالحين وفيها المؤمنين والقانتين فيها الفساق فيها العصاة وفيها من هو ظالم لنفسه وفيها من هو مقتصد وفيها من هو سابق بالخيرات الحكم هنا باعتبار الجملة لا باعتبار الاعيان - 00:04:01

وهذا امر مقطوع به لانه الامم السابقة فيهم من العلماء والاولياء والصالحين والسابقين والصديقين وغير ذلك من هم خير من كثير من هذه الامة ولكن بوجه العموم والجملة يقال جملة هذه الامة خير - 00:04:22

كما قال الله جل وعلا كنتم خير امة اخرجت للناس وهذا باعتبار جملة الامة لا باعتبار اعيانها نعم قال واكمل هذه الامة في ذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - 00:04:41

ومن كان بهم اشبه كان ذلك فيه اكمل. فاين هذا من قوم يدعون المحبة؟ فمن كان بهم اشبه فهو الى الكمال اقرب لان الله يقول والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه - 00:04:58
وشرع التشبه بهم اي الاتباع لهم التشبه يقصد به الاتباع يقصد به الاتباع لهم. نعم وفي كلام بعض الشيوخ المحبة نار تحرق في القلب ما ما سوى مراد المحبوب وارادوا ان الكون كله قد اراد الله وجوده فظنوا ان كمال المحبة - 00:05:18
ان يحب العبد كل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان ولا يمكن لاحد ان يحب كل موجود هذا من الطرق التي عرظت في بعظ كلمات الغلاة ولم يلتزمها احد منهم كمنهج - 00:05:41
وبين المصنف هنا ان هذا من الممتنع والمتناقض من جهة العقل لانه لا يمكن لاحد ان يحب كل موجود لان الموجودات بينها تناقض الايمان يناقضه الكفر وهكذا فلما كان الايمان يناقضه الكفر - 00:05:57
امتنع الجمع بين النقيضين ولما كان الظلم ناقضه العدل امتنع الجمع بين النقيضين فمن يدعي ويقول بان من مقتضى المحبة وكل محبة كل ما اراد الله لدخولها في عموم الارادة - 00:06:18
هذا من الجهل بالحقائق الفطرية والعقلية والشرعية الجهل بالحقائق الفطرية لان الفطرة لا تقر ذلك والعقل يمنع الجمع بين النقيضين وهذا من بدهيه قطعيات العقل ومن جهة الشرع فان الشرع فصل ما حرم الله وكرهه وما - 00:06:34
ترعى الله واحبه ولهذا هذه الكلمة عرضت في بعض كلام الغلاة ولم تنتظم بمنهج طائفة منهم او حتى في منهج او حال بعض اعيانهم فانه ما من احد من الاعيان فظلا عن الطوائف الا وهو - 00:06:56
مناقض لهذه الكلمة لانها كلمة باطلة عقل لانه فطرة وشرعا. نعم وهذا ولا يمكن لاحد ان يحب كل موجود بل يجب بل يحب ما يلائمه وينفعه ويبغض ما ينافيه ويضره - 00:07:15
ولكن استفادوا باعتبار الملاءمة هذا باعتبار الملاءمة ولكن هناك درجة اعظم من الملاءمة وهي درجة الجمع بين النقيضين درجة الجمع بين النقيضين فقد يفرض ويتصور الجمع في المحبة بين غير المتلائمين - 00:07:32
لكن الذي لا يمكن تقديره وتصحيحه البتة بوجه من الوجوه ولا تصوره على وجه صحيح هو الجمع بين النقيضين ولهذا صار من اصدق الاحكام العقلية انه يمتنع الجمع بين النقيضين وانت تعلم ان هذه - 00:07:53
المحرمات مع المشروعات ما من مشروع الا ويقابله محرم اما على وجه المضادة له او على وجه المناقضة له ما من مشروع الا ويقابله محرم ومنهي عنه تو كان على وجه التقابل من جهة التضاد او على وجه التقابل من جهة التناقض - 00:08:10
وباتفاق العقلاء وباتفاق النظار واصناف باحثين من سائر الامم ان الجمع بين النقيضين والجمع بين الظدين من الممتنعات وعليه فلا يتصور هذا التقرير البتة لان الخير يقابله الشر والعدل يقابله - 00:08:37
ظلم والكفر يقابله الايمان وهكذا فما من مشروع الا وهناك ما يقابلهما من منهي عنه الا وهناك ما يقابله من المشروع فهنا يتعذر الجمع بين هذه كلها لانه جمع بين الممتنعات - 00:09:01
اجتماعا والممتنعات اجتماعا هي اجتماع النقيضين او اجتماع ضدين ولهذا كما ذكرت هذه الكلمة عرظت في بعظ كلام غلاة الصوفية ولم تلتزمها طائفة منهم في كلامها ولم يلتزمها احد من الاعيان في حاله وان كانت قد تعرض في كلامه - 00:09:17
وكثير من هذه الكلمات يتأولها اتباعهم على درجة فيها قدر من التخفيف وان كان لا يقع فيها القدر التام من الاسقاط لان الاسقاط باالفاظ الصريحة يكون متعذرا نعم قال ولكن استفادوا بهذا الضلال اتباع اهوائهم - 00:09:41
فهم يحبون ما يهوونه كالصور والرئاسة وفضول المال والبدع المضلة زاعمين ان هذا من محبة الله ومن محبة الله زاعمين ان هذا من محبة الله ومن محبة الله بغض ما يبغضه الله ورسوله وجهاد اهله بالنفس والمال - 00:10:05
واصل ضلالهم ان هذا القائل الذي قال ان المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب قصد بمراد الله تعالى الارادة الدينية الشرعية التي قصد بمراد الله تعالى الارادة الدينية الشرعية. لا لا - 00:10:24
ارادة الكونية في كل الموجودات عندك كذا فهو في سخط عندي هذا عندك كذا اذا فيه سقط هي قصد بمراد الله الارادة الكونية في

كل الموجودات. اما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله هذه المقالة - 00:10:44
فانه يقصد الارادة الدينية الشرعية اذا قال من قال ان المحبة تسقط ما سوى المراد لله فاذا اراد المراد لله بمعنى ما اراده الله اي شرعه وهي الارادة الشرعية فهذا صحيح - 00:11:04
واما ما اراد الله بمعنى ما قدره الله وقضاه فهذا ليس بصحيح نعم قال فكأنه قال تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله وهذا معنى صحيح فان ما قصد به الارادة الشرعية - 00:11:22
نعم فان من تمام الحب الا يحب الا ما يحبه الله فاذا احببت ما لا يحب كانت المحبة ناقصة واما قضاؤه وقدره فهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه فان لم - 00:11:39
اوافقه في بغضه وكراهته وسخطه لم اكن وسخطه وسخطه لم اكن محبا له بل محما لما يبغضه فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من اعظم الفروق بين محبة الله واوليائه بين اهل محبة الله واوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظرا الى عموم ربوبيته او - 00:11:55
تبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فان دعوى هذه المحبة لله من جنس من المعاني المحكمة وهو معنى بينه الله في كتابه وهي ان محبة الله ليست دعوة وانما محبة الله اتباع قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني - 00:12:22
يحببكم الله كذلك قوله جل وعلا وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ هل انتم بشر ممن خلق فبين الله في هذه الايات وفي غيرها ان محبته سبحانه - 00:12:43
هي طاعته وهي اجزي اتباع ما امر الله سبحانه وتعالى به وان كانت المحبة من حيث هي من الاعمال هي عمل قلبي له حقيقة والاتباع والطاعة من متظمنها ومن اثارها - 00:13:01
ولكنها هي فعل في قلب العبد له حقيقة كما ان الفعل كما ان الخوف فعل بقلب العبد وحال في قلب العبد له حقيقة والرجاء وفعل في عبده في قلب العبد له حقيقة - 00:13:20
وعن هذا سميت عند كثير من العلماء باعمال القلوب نعم فان دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله بل قد تكون دعوة هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الاسفل من النار - 00:13:36
كما قد تكون دعوة اليهود والنصارى شرا من دعواهم اذا لم يصلوا الى مثل كفرهم وفي التوراة والانجيل من محبة الله ما هم متفقون عليه. حتى ان ذلك عندهم اعظم وصايا الناموس. ففي الانجيل ان ان المسيح قال - 00:13:56
اعظم وصايا المسيح ان تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة وان ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك وهم برءاء من محبة الله اذا لم يتبعوا ما احبه - 00:14:13
بل اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم وهو سبحانه يحب من يحبه. لا يمكن ان يكون العبد محبا لله ولله تعالى غير محب له - 00:14:30
بل بقدر بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب يكون حب الله له وان كان جزاء الله لعبده اعظم. كما في الحديث الصحيح الالهي عن الله تعالى انه قال من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا. ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا. ومن اتاني يمشي اتيته ارولة - 00:14:47
وقد اخبر سبحانه انه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين. بل هو يحب من فعل ما ما امر به من من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه. فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به - 00:15:12
الحديث وكثير من المخطئين الذين اتبعوا اشياخا في الزهد والعبادة وكثيرا من وكثير وكثير من الذين اتبعوا اشياخا. كثير من المخطئين. وكثير من المخطئين الذين اتبعوا اشياخا بالزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله - 00:15:35
مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكوا لا تكون محبتهم ناقصة فعدم تحقيق الاستجابة على وجه اه من

الظهور ولا نقول من الكمال لان الكمال لا يتحقق لاحد - 00:15:59
الا من اصطفاهم الله من الرسل والانبياء والا فبنو ادم خطاء كما قال النبي صلى الله عليه واله وسلم وانما المقصود ان من وقع في المعاصي او ما هو منها - 00:16:21
فان هذا لا تكذب محبته من اصلها وانما تكون المحبة محبة ناقصة وان كان اصلها لابد ان يكون موجودا وصحيحا ان المحبة هي تبع للايمان كما ان الايمان لا يتصور عدم اصله الا في حق الكفار - 00:16:37
وكذلك المحبة فكل مسلم مهما كانت حاله من المعصية او التقصير فعنده اصل من المحبة صادق صحيح والا لم يصح ايمانه ولا يقال ان معصيته تكذب محبته وانما معصيته تنقص محبته ولا تكذب اصلها - 00:16:58
انما هي دالة على نقصها لان من كذبت محبته لله فليس ثمة الا ما يضاد ذلك او يناقضه وهذا لا يقع من مؤمن موحد بالله نعم ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به الى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه - 00:17:19
والحكايات التي لا لا يعرف صدق قائلها ولو صدقة لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم سارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ثم انهم ينتقصون العبودية ويدعون ان الخاصة يتعدونها - 00:17:41
كما يدعي النصارى في المسيح ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وامه الى انواع اخرى يطول شرحها في هذا الى ان هذه الجملة من جمل الشريعة - 00:18:01
وهذه العبادة من العبادات الشرعية وهي عبادة المحبة لله سبحانه وتعالى ظل فيها اقوام بطرق مبتدعة ومحدثة يرعوها في هذه المحبة او في تحقيقها وهي من الطرق الباطلة من جنس ما عرظ لمنحرفتها للكتاب - 00:18:18
نعم وانما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمن محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا - 00:18:39
وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة. وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل. فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان - 00:18:58
لا ولا يكون لله الا ما احبه الله ورسوله وهو المشروع وكل عمل اريد به غيره غير غير الله لم يكن لله كل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله. بل لا يكون لله الا ما جمع الوصفين. ان يكون لله وان يكون موافقا لمحبة الله - 00:19:20
الله ورسوله. فاذا سقط منه احد هذين الوصفين لم يكن عملا مشروعا. فاذا خرج عن الاخلاص بطل واذا خرج عما شرع الله بطل نعم بل لا يكون لله الا ما جمع الوصفين ان يكون لله وان يكون موافقا لمحبة الله ورسوله. وهو الواجب والمستحب كما قال فمن كان - 00:19:41
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فلا بد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب ولابد ان يكون خالصا لوجه الله تعالى كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف - 00:20:06
عليهم ولا هم يحزنون. وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او - 00:20:26
امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه. وهذا الحديث الذي قبله من جوامع كلمة النبي عليه الصلاة والسلام وقد اوتي جوامع الكلم حديث عائشة من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد - 00:20:48
وفي رواية الصحيحين من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد كذلك ما جاء في حديث عمر انما الاعمال بالنيات. وهو قاعدة كلية من قواعد الشريعة وكذلك الذي قبله - 00:21:05
تعد قاعدة كلية من قواعد الشريعة وعن هذا سمى علماء القواعد قاعدة وهي قاعدة الامور بمقاصدها وهذا النص الذي جاء في

حديث عمر هو من ادلتها وشواهدها وان كانت القاعدة - 00:21:22
لا تثبت بنص واحد بل تكونوا ادلتها مستفيضة من الكتاب والسنة. نعم قال وهذا الاصل هو اصل الدين وبحسب وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين وبه ارسل الله الرسل وانزل الكتب واليه دعا الرسول وعليه جاهد وبه امر وفيه رغب - 00:21:41
وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحا والشرك غالب على النفوس وهو كما جاء في الحديث وهو في هذه الامة اخفى من دبيب النمل. وفي حديث اخر قال ابو بكر يا رسول الله كيف ننجو منه وهو اخفى من دبيب النمل؟ فقال - 00:22:03
النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر الا اعلمك كلمة اذا قلتها نجوت من دقه وجله الله قل اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفر لما لا اعلم. وكان عمر يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا. واجعله لوجهك خالصا. ولا تجعل لاحد - 00:22:20
فيه شيئا وكثيرا ما يخالط النفوس من الدعاء الذي ذكر عن عمر يدل على ان مما تصلح به الاحوال تستقر به اه العلوم والمعارف والدعاء ويصحح ما في النفوس فاذا وفق الله العبد وهداه - 00:22:43
استجاب له ووفقه لطاعته واجتناب ما يسخط الله ويغضبه. نعم وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له واخلاص دينها له كما قال شداد ابن اوس يا بقايا العرب ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة والشهوة الخفية - 00:23:06
قيل لابي داوود السجستاني وما الشهوة الخفية؟ قال حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غنم بافسد لها - 00:23:33
من حرص المرء على المال والشرف لدينه قال الترمذي حديث حسن صحيح فبين صلى الله عليه وسلم ان الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين - 00:23:48
لزريبة الغنم وذلك بين فان الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص. وذلك ان القلب اذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء احب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه - 00:24:03
وبذلك يصرف عن اهل الاخلاص لله السوء ولذلك وبذلك يصرف عن اهل الاخلاص يصرفوا وبذلك يصرفوا وعن اهل الاخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وكل مناف - 00:24:20
لتحقيق الاخلاص لله فانه يكون من توفيق الله لعبده ان يصرفه عنه ولهذا صرف عن عباده الصالحين السوء والفحشاء لما هم عليه من مقام التوفيق باخلاصهم لله وحده سبحانه واما اذا دخل الحرص المنافي لمقام الاخلاص - 00:24:40
لامر ولو كان اصله مباحا كان هذا من المزاحم لمقام العبودية المنقص لها نعم قال فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عن عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره. اذ ليس عند القلب لا احلى ولا الذ ولا اطيب ولا الين - 00:25:02
ولا انعم من حلاوة الايمان المتظمن عبوديته لله ومحبته له واخلاصه الدين له وذلك يقتضي انجذاب القلب الى الى الله فيصير القلب منيبا الى الله خائفا منه راهبا كما قال تعالى من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب. نعم بقلب منيب اي انه لي - 00:25:29
صدق ايمانه بالله واخلاصه له وانفكاكه عن المزاحم بهذا المقام او لهذه المقامات الشرعية يصير منيبا الى الله متعلقا به سبحانه وتعالى فايما عرظ له نقص او مزاحم رجع واناب الى الله بخلاف من بعد عن ذلك - 00:25:52
ضعف عنده مقام الانابة ومقام الانابة مقام من اخص مقامات العبودية وصف الله به الصالحين من عباده وانبيائه اذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه فلا يكون عبد الله ومحبوه الا بين خوف ورجاء. قال تعالى اولئك الذين يدعون - 00:26:14
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محظورا. نعم فالعبد بين هذين المقامين مقام الخوف والرجاء واصلها وقبلها مقام المحبة وبالله التوفيق - 00:26:38